

الثورتان الثقافيتان الإيرانيتان: عمليات الأسلمة الجارية

مجيد محمدي(*)

مل المجتمع الأكاديمي الإيراني، منذ انتصار ثورة العام 1979 وتولي رجال الدين الحكم، بثورتين ثقافيتين بين أعوام 1980 - 1982، و2005 - 2010. تهدف هذه الدراسة إلى المقارنة بين هاتين الظاهرتين في سياق عمليات الأسلمة، حكم رجال الدين وأجنداتهم المعادية للفكر والغرب، والسياسة الحزبية في إيران. تناقش الدراسة أيضا نتائج الثورتين على المجتمع الأكاديمي الإيراني، والثقافة والحكومة الإيرانيتين، والمجتمع الإيراني.

(*) أستاذ جامعي وباحث إيراني مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

سأناقش ما يتعلق بكل من الثورتين من الأيديولوجيات، الأساليب، الأنماط، التوجهات، الاهتمامات، القوى المنخرطة، السياقات الاجتماعية والسياسية، المقومات والأهداف، العوامل، نقاط القوة، والنجاحات والإخفاقات. تغير مستوى الاستقلالية بصورة مؤثرة، أثناء هاتين الثورتين، فيما يتعلق بصنع السياسات، التوظيف، القبول، والإدارة في الجامعات الإيرانية. يتمثل السؤال الرئيس في ماهية السبب الذي جعل من الجامعات الإيرانية ساحة للصراع بين القوى السياسية لما يقارب ستة عقود من الزمن.

"يجب أن تقوم ثورة رئيسة في الجامعات كافة عبر البلاد للتخلص من الأساتذة المرتبطين بالشرق والغرب"⁽¹⁾.

"أحال الطلاب حرم الجامعات إلى "غرف عمليات لشن الحرب" على الدولة الإسلامية"⁽²⁾.

"تم الإقرار، من وقت لآخر، بالحاجة إلى الثورة الثقافية التي تمثل قضية إسلامية ومطلباً للأمة الإسلامية... تشعر الأمة الإسلامية بالقلق لضياع الفرصة، وعدم القيام بعمل إيجابي، بينما تبقى الثقافة على حالها منذ مرحلة النظام الفاسد الذي وضع فيه المسؤولون المرتهنون للثقافة الغربية تلك المراكز المهمة (الجامعات) تحت تصرف القوى الاستعمارية. سيوجه استمرار هذه الكارثة، الذي يمثل لسوء الحظ هدفاً لبعض من المجموعات ذات التوجهات الأجنبية، سيوجه ضربة قوية إلى الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية"⁽³⁾.

"يجدر بالطلاب، اليوم، أن يصرخوا في الرئيس، ويسألوا عن سبب وجود محاضرين ليبراليين وعلمانيين في الجامعات"⁽⁴⁾.

(1) رسالة الخميني في اليوم الأول من السنة الجديدة، 21 مارس، 1980.

(2) 18 أبريل، 1980.

(3) روح الله الخميني. مرسوم تأسيس «مقر قيادة الثورة الثقافية»، 12 يونيو، 1980.

(iranaculture.org/en/about/tarikh.php)

تمت زيارته في 19 أكتوبر، 2007.

(4) محمود أحمدني نجاد. chronicle.com/subscribe/login?url=weekly/v53/i04/04a04202.htm

تجسد الثورة الثقافية تعبيراً استعاره الثوريون الإيرانيون من نظرائهم الصينيين⁽⁵⁾. استخدم ذلك التعبير كذريعة لترويج أجنحة أيديولوجيات إسلامية في النظام التعليمي، وقمع الناشطين من الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية، في الجامعات والكليات، على وجه الخصوص، في أنحاء البلاد كافة. ساعد ذلك النظام الإسلامي، بما يمثل كارثة للمجتمع الأكاديمي، في منع حدوث معارضة على الصعيد العام، وتعزيز سلطته بالتالي. تمثل موجة جديدة من الثورات الثقافية، التي اندلعت منذ تشكل إدارة أحمد نجاد المستندة إلى أسس عسكرية-أمنية، فرصة للعودة إلى الوراء للنظر في الأسباب والنتائج الرئيسة للثورة الثقافية الأولى في إيران، ومقارنتها بما جرى أثناء الفترة الزمنية الممتدة بين العامين 2005 و2010.

ستتم في هذه الدراسة مقارنة المسائل المتمثلة في الفرق الرئيس بين الثورات الثقافية ذات التوجهات المتعلقة بالأسلمة والعسكرة، مستوى الاستقلالية في الجامعات قبل حدوث تلك التطورات بما يشمل التحكم في المناهج الدراسية، المنظمات/ الأنشطة/ الصحف الطلابية والجمعيات العلمية، والطريقة التي استجاب الجسم الطلابي بها في الموقف المعين. سأختبر إعادة تعريف غايات النظام الإسلامي فيما يتعلق بالجامعات، وأقيم الطريقة التي يتم عبرها عرض النجاحات والإخفاقات المتعلقة بتلك التطورات.

1. المعاناة الأكاديمية

تم، أثناء الثورة الثقافية الإيرانية الأولى، طرد أكثر من 700 بروفييسور وأستاذ جامعي⁽⁶⁾، علاوة على فصل الطلاب المنتسبين إلى مجموعات معارضة بصورة نهائية، أو حرمانهم من الدراسة، على أقل تقدير، ما بين فصل وأربعة فصول دراسية، وإغلاق المكاتب العائدة لمجموعات الطلاب المعارضين والمستقلين كافة. تم تأسيس "مقر قيادة الثورة

(5) مقارنة بين الثورات الثقافية الصينية والإيرانية، انظر:

Sobhe, 1982.

Abdolkarim Soroush, Dorosti va Doroshti (Rightousness and Meanness), E'temad Melli Daily, Tir, 19, 1386 (July 10, (6) 2007).

الثقافية"، الهيئة المعينة بالكامل⁽⁷⁾؛ أصبح صنع القرار في الجامعات متمركزا بصورة كلية في يد الحكومة؛ وخصصت حصص محددة للطلاب الموالين.

تم تأسيس "مكتب التعاون بين الجامعات والحوزات" لتمكين رجال الدين بصورة إضافية من بسط نفوذهم على المجتمع الأكاديمي؛ كما تم في وقت لاحق تأسيس مكاتب "ممثلي القائد" في الجامعات والكليات كافة للسيطرة على جميع الأنشطة الثقافية، الاجتماعية، والسياسية العائدة للطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية. تم إغلاق حرم الجامعات، علاوة على ذلك، مدة سنتين. لم تظهر، في العام 1982، أي مؤشرات إلى الاستقلالية في صنع القرار، التوظيف، القبول، الإدارة، بل وحتى المناهج الدراسية في الجامعات الإيرانية. أخضع الخميني واتباعه المجتمع الأكاديمي الإيراني في خضم عملية الأسلمة في ثمانينيات القرن المنصرم. تم تأسيس منظمة "الجهاد الجامعي" لتنظيم بعض الأنشطة الطلابية - للسيطرة على الهيئات الطلابية بصورة غير مباشرة - وترويج القيم الإسلامية في الجامعات والكليات عبر ما هو إلزامي من الدورات، المناسبات الاحتفالية، وحملات الدعاية العامة.

تم إطلاق الجولة الثانية للثورة الثقافية الإسلامية - حين تولى أحمد نجاد منصب الرئاسة في العام 2005 عبر انتخابات غير عادلة ومفبركة بوضوح - عبر اللجوء إلى القوة القسرية العائدة للحرس الثوري، وزارة الاستخبارات، والسلطة القضائية. تلقى الآلاف من الطلاب الجامعيين الناشطين إشارات على هيئة نجوم في استمارات تسجيلهم، استنادا إلى توجيهات خامنئي الذي يقود الجولة الثانية، بما يعني أنه لا يمكنهم التسجيل في الجامعة⁽⁸⁾.

(7) عين الخميني جميع أعضاء هذه الهيئة في العام 1980. تم تحويلها إلى «المجلس الأعلى للثورة الثقافية» في العام 1984.

(8) تلقى 1700 طالب، في العام الدراسي 2006 - 2007 وحده، إشارة على هيئة نجمة في استمارات تسجيلهم. تمهد حوالي 1500 منهم بعدم المشاركة في أنشطة سياسية، ومنحوا الإذن بالتسجيل

(news.gooya.com/politics/archives/2009/01/083168.php).

لم يتلق خمسون طالبا من الناشطين، في العام الدراسي 2007 - 2008، التقارير التي تقيم أداءهم في امتحان برنامج الخريجين (بيان "مكتب تمزيق الوحدة" الصادر احتجاجا على طرد أعضاء الهيئة التدريسية، ووضع نجوم على استمارات طلاب الجامعة):

(norooznews.ir/news/3451.php)

تمت زيارته في 17 سبتمبر، 2007.

عمدت الإدارة الجديدة إلى دفن بقايا جنود قتلوا منذ أكثر من عشرين عاما، أثناء الحرب العراقية- الإيرانية، في بعض الجامعات لإيجاد مواقع مقدسة للموالين للحكومة، وإضفاء طابع من القدسية الدينية على المؤسسة التعليمية لإظهارها بمظهر المعارض لمعظم الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية الذين يؤمنون بضرورة علمنة تلك المؤسسة⁽⁹⁾.

تم طرد الأساتذة الجامعيين المعارضين وغير الممثلين، ومورست الضغوط عليهم لكي يتقاعدوا⁽¹⁰⁾. يُمنع بعض من أعضاء الهيئة التدريسية أولئك من التدريس في أي من مؤسسات التعليم العالي؛ وهم الذين يمثلون في الغالب علماء اجتماع وسياسة يعبرون عن آرائهم حول توجه البلاد. اشتدت عملية الطرد تلك عقب الانتخابات الرئاسية العاشرة.

(9) دفن جثامين خمسة من الشهداء المجهولي الهوية، ممن سقطوا أثناء الحرب العراقية- الإيرانية. في جامعة «شهيد بهشتي»: Kayhan Daily, January 20, 2008: kayhannews.ir/861030/14.HTM#other1408;

دفن عدد من الجثامين في جامعتي «بايامي نور» و«علم فا سانان»: Kayhan, Daily, February 17, 2009;

سيتم دفن بعض الجثامين في جامعة «أمير كبير» وجامعة «كاشان» في 23 فبراير، 2009. (Kayhan, February 21, 2009);

دفن جثامين في عشرين جامعة في العامين 2008 - 2009 (Shahab News, February 23, 2009);

دفن ثلاثة جثامين في جامعة «رازي» في كرمنشاه (Kayhan Daily, May 30, 2009).

(10) تم طرد أربعة من أعضاء الهيئة التدريسية، يعمل ثلاثة منهم في قسم العلوم السياسية والقانون في جامعة طهران: بشيريه، سيماتي، وشهنده: norooznews.ir/news/3038.php

تمت زيارته في 26 أغسطس، 2007. تم طرد فرهاد حسني نيا، عضو الهيئة التدريسية في كلية العلوم الاقتصادية، نتيجة لنقاشاته في قاعة الدراسة التي انتقد أثناءها الحكومة: advarnews.us/university/6430.aspx

تمت زيارته في 30 ديسمبر، 2007. تم دفع واحد وعشرين عضوا في الهيئة التدريسية للمطالبة بإحالتهم للتقاعد (July 28, 2008: roozonline.com/archives/2008/07/post_8560.php);

تم دفع تسعة أعضاء إضافيين في هيئة التدريس للتقاعد؛ حيث كانوا يعملون في قسم الاقتصاد في جامعة «علامة» (Emrooz, October 8, 2008)

استقال توراج محمدي، رئيس قسم الهندسة الكيميائية، من منصبه بعد تعرضه لضغوط هائلة من قبل الجامعة لاعتراضه على سياساتها إزاء الطلاب؛ تم دفع ثلاثين عضوا في الهيئة التدريسية في جامعة طهران للتقاعد (Tabnak, July 18, 2010).

تم دفع أربعين عضوا في الهيئة التدريسية في جامعة طهران للتقاعد في النصف الأول من العام 1389 (فبراير- أغسطس، 2010) (ISNA, September, 6, 2010);

تم إرغام ثمانية أعضاء إضافيين في الهيئة التدريسية في جامعة طهران على التقاعد في شهر سبتمبر من العام 2010 (Tabnak, September 29, 2010).

تم طرد العشرات من أعضاء الهيئة التدريسية لمجرد تأييدهم مرشحي المعارضة⁽¹¹⁾، بينما طُرد آخرون ببساطة نتيجة لأفكارهم ومعتقداتهم⁽¹²⁾. تم استبدال 20، من بين 130 رئيس جامعة، بأخرين معينين حديثاً، يتبعون توجهات الباسيج في الغالب، في مدة قصيرة من الزمن⁽¹³⁾، ناهيك عن أن بعضهم لم يكونوا أعضاء في الهيئة التدريسية حتى عند تعيينهم.

تم حظر وإغلاق العشرات من الصحف الطلابية؛ أغلقت معظم مكاتب الرابطات الطلابية التي انتخبت بطريقة ديموقراطية⁽¹⁴⁾؛ خصصت المزيد من الحصص "لباسيجيين" في

(11) تم طرد بعض من أعضاء الهيئة التدريسية في قسم الاقتصاد بجامعة «علامة طباطبائي» في الوقت ذاته. تمثل أولئك الأعضاء (الذين أحيلوا للتقاعد رسمياً من دون موافقتهم، وقبل أن يتموا مدة تتجاوز ثلاثين عاماً في العمل) تمثلوا في حميد رضا بارداراني شورাকা، محمد ساتاريفار، علي صادقي طهراني، بيهرود هادي زونوز، محمود كاتاني، صادق باكتياري، رضا آسي، محمد مهدي بيهكيش، مهدي جاهرومي، والأستاذة توركيان. كان ساتاريفار الوحيد، من بين هذه المجموعة، الذي لم يحرم من حقه في التدريس. عمدت السلطات كذلك إلى قطع رواتب اثنين من أعضاء الهيئة التدريسية في قسم الزراعة في الجامعة ذاتها، تائي وشريف آزاده. تم إيقاف «برنامج التطوير» في تلك الجامعة بصورة كاملة

(Tabnak, January 20, 2010).

(12) تم طرد أستاذين من جامعة «علم فا سانان»، كجزء من عملية متواصلة لطرد أعضاء الهيئة التدريسية الذين يحملون وجهات نظر مغايرة للحكومة، أو الذين أيدوا الطلاب أثناء احتجاجاتهم. تلقى سيد علي أصغر بهشتي ومحمد شهري، الأستاذان في جامعة «علم فا سانان»، رسالتين مكتوبتين لإعلام كل منهما بطرده من منصبه في الجامعة، في أعقاب تصريح وزير العلوم والبحث والتقنية الإيراني المتعلق بمسألة التوافق الأيديولوجي للأستاذة مع الحكومة. تم طرد عضوين إضافيين في الهيئة التدريسية نتيجة لأرائهما السياسية: مرتضى مارديةا من جامعة «علامة طباطبائي»، وسابا واصفي من جامعة «شهيد بهشتي»

(Gooya News, January 21, 2010)

تم طرد رحمة الله باستاني، عضو الهيئة التدريسية في جامعة «سيستان وبلوشستان»، بعد اعتقاله أثناء حضوره جنازة زوجة حسين علي منتظري في قم

(Parleman News, April 30, 2010)

صرح كامران دانشجو، وزير العلوم والبحث والتقنية، في 4 مارس، 2010، قائلاً إنه سيتم طرد أعضاء الهيئة التدريسية الذين «لا يشاركون النظام في توجهاته»، والذين «لا يلتزمون بصورة عملية بولاية الفقيه (حكم القائد)».

(13) كامران دانشجو، وزير التعليم العالي،

Alef, Aug. 29th , 2010

تمت زيارته في 29 أغسطس، 2010.

(14) استدعي 561 طالباً، ما بين نوفمبر 2007 ونوفمبر 2008، للمثول أمام اللجان والمحاكم التأديبية، وتلقوا أحكاماً تتراوح بين الفصل المؤقت، الطرد، والاعتقال والسجن، بما يستلزم دفع مبلغ 8.44 مليون دولار للخروج بكفالة. كان ثلاثة طلاب جامعيين يتعرضون للهجوم في تلك الفترة، كل يومين تقريباً؛ ناهيك عن تلقي 15 طالباً نجوماً على استماراتهم؛ وفصل 107 طلاب بصورة مؤقتة وحرمانهم من إكمال دراستهم؛ وطرده 20 طالباً بصورة نهائية؛ وإغلاق 18 صحيفة طلابية.

(emruz.net/ShowItem.aspx?ID=22427&p=1)

تمت زيارته في 14 مايو، 2009.

الجامعات⁽¹⁵⁾؛ عُيِّن "الباسيجيون" كأعضاء هيئة تدريسية⁽¹⁶⁾؛ وتم ضخ المزيد من رجال الدين، الذين لا يحملون شهادات جامعية، في مواقع إدارية في الجامعات والكليات⁽¹⁷⁾.

تم حل 43 رابطة طلابية، في السنتين الأوليين لإدارة أحمددي نجاد، ناهيك عن استدعاء أكثر من 700 طالب للمثول أمام لجان تأديبية نتيجة لآرائهم السياسية⁽¹⁸⁾، واحتجاز المئات من الطلاب⁽¹⁹⁾، ومقتل طالبين في السجن⁽²⁰⁾، وتعرض بعض من الطلاب الآخرين للإصابات والشلل تحت التعذيب، ورفض الاستمارات العائدة لبعض من الطالبات

(15) تم قبول 200000 طالب من الباسيج في جامعة آزاد (المفتوحة) وحدها، منذ العام 2004، دون أن يخضعوا لاختبار المؤهلات، roozonline.com/archives/2008/01/post_5780.php

(16) يمكن للطلاب "الباسيجيون" أن يلتحقوا ببرنامج الخريجين من دون أي اختبار للمؤهلات.

(17) طالب 1000 من الطلاب، في عريضة رفعوها إلى وزير العلوم والتعليم العالي، بإقالة حجة الإسلام "شرعتي" الذي كان رئيسا لجامعة "علامة طباطبائي" بين العامين 2005 - 2007، advarnews.us/university/5927.aspx

تمت زيارته في 20 أكتوبر، 2007.

(18) بيان "مكتب تعزيز الوحدة":

news.gooya.com/politics/archives/2008/01/067423.php

(تمت زيارته في 28 يناير، 2008).

(19) تم في أقل من ستة أشهر، من يونيو إلى نوفمبر 2007، اعتقال أكثر من ستين طالبا من قبل عناصر الأمن، بصورة غير مسبوق في التاريخ الإيراني الحديث:

news.gooya.com/politics/archives/2007/11/065181.php

(تمت زيارته في 22 نوفمبر، 2007).

تم، بين أغسطس 2007 وأغسطس 2008، احتجاز 200 طالب جامعي:

roozonline.com/archives/2008/08/post_8688.php

(تمت زيارته في 13 أغسطس، 2008).

كان العشرات من طلاب الجامعة قابعين في السجن، مع بداية العام الدراسي 2008 - 2009، ولم يسمح للعشرات من الطلاب كذلك بالتسجيل في الجامعة، ناهيك عن تعرض العديد من الطلاب الآخرين للملاحقة القانونية والمضايقات، ومنعهم من إكمال دراستهم، واستدعائهم للمثول أمام لجان تأديبية في الجامعات والكليات في أنحاء البلاد كافة

(Nowrooz, October 13, 2008)

(20) قتل إبراهيم لطف الله -طالب الحقوق في جامعة "بايامي نور" في سانانداج، البالغ من العمر 27 عاما- قتل في سجن سانانداج. تم احتجازه في 6 يناير، 2008، لاتهامه بحياسة بعض المناشير، ولم تسلم جثته إلى عائلته. تم دفنه تحت الإسمنت من دون إذن عائلته: norooznews.ir/news/5338.php

(تمت زيارته في 20 يناير، 2008).

زعم عناصر الأمن أنه انتحر، دون أن يوضحوا كيفية قيامه بذلك، لم يسمح لأفراد عائلة إبراهيم برؤية جثته قبل دفنها: news.gooya.com/politics/archives/2008/01/067157.php

(تمت زيارته في 21 يناير، 2008).

قتلت الطليبية زهرة بني يعقوب في همدان، قبل بضعة أشهر من تلك الحادثة، وأعلنت السلطات أنها انتحرت. كانت زهرة قد احتجزت لأنها كانت تسير في حديقة مع خطيبها.

استنادا إلى جنسهن لا أكثر⁽²¹⁾. عوقب طلاب الجامعات على وجه العموم -لمجرد مشاركتهم في التجمعات لانتقاد إدارات الجامعات والحكومة- بالحرمان المؤقت من الدراسة، بمعدل فصلين دراسيين لكل طالب⁽²²⁾.

تراقب إدارة أحمدي نجاد أعضاء الهيئة التدريسية الذين يسافرون للخارج؛ ويتعين عليهم إبلاغ المكاتب الأمنية في الجامعة برحلاتهم التي يقومون بها إلى بلدان أخرى للمشاركة في المؤتمرات، وحضور النقاشات والمنتديات. يشمل ذلك أيضا السفر لأسباب شخصية، أو للترفيه، أو الحج، الذي يتم تمويله من مؤسسات خارج إطار الجامعة⁽²³⁾. تعرض العديد من الأكاديميين الذين حضروا مؤتمرات في الخارج، أثناء الفترة الرئاسية الأولى لأحمدي نجاد، في العديد من الأحيان، إلى التوبيخ بشدة عند عودتهم إلى البلاد، واعتقل بعضهم بتهمة محاولة القيام " بثورة مخملية".

أعلنت إدارة أحمدي نجاد في تلك الفترة أنها ستلغي اختبار القبول الوطني الموحد (لتشجيع الالتزام على وجه الاحتمال، "الخلفية السياسية/ الأيديولوجية، على سبيل المثال، مقابل الدرجات")، ولتقليل عدد الطلاب الإيرانيين الذين يدرسون في الخارج (حوالي

(21) يعتقد رجال الدين الحاكمون في إيران وموالوهم أن جهاد المرأة يتمثل في تدبير شؤون المنزل. تستند السياسات التعليمية إلى هذه الرؤية فيما يتعلق بالنساء. لا يمكن للنساء، وفقا لقرار جديد، أن يشغلن أكثر من 40% من المقاعد المخصصة للبرامج الطبية وبعض الاختصاصات الأخرى:

irandokht.com/news/readnews.php?newsID=35023;news.gooya.com/politics/archives/2007/10/063479.php;norooznews.ir/news/4219.php

(تمت زيارتها في 14 نوفمبر، 2007).

(22) عوقب عشرة من طلاب جامعة "شيراز" بالحرمان المؤقت من الدراسة، بما يبلغ مجموعه 17 فصلا دراسيا، لمشاركتهم في تجمع في 5 ديسمبر، 2007:

Seda-ye Edalat Daily, March 18, 2008.
(23) norooznews.ir/news/3063.php

(تمت زيارته في 26 أغسطس، 2007).

70000 في العام 2007)⁽²⁴⁾. تم شغل المواقع الإدارية كافة في الجامعات، على وجه التقريب، من قبل "الباسيجيين"⁽²⁵⁾ ورجال الدين الموالين سياسيا للأجنحة العسكرية والسلطوية.

اشتدت حملة التطهير بعد الانتفاضة التي أعقبت الانتخابات الرئاسية في العام 2009. عقد النظام العزم، بعد أن شعر بالتهديد جراء الاحتجاجات الكبيرة في الجامعات عبر أنحاء البلاد كافة، على الإسراع بإطلاق المرحلة الثانية للثورة الثقافية. صرح كامران دانشجو، وزير العلوم والبحث والتقنية الإيراني، قائلاً إنه سيتم طرد أعضاء الهيئة التدريسية الذين لا يشاركون النظام في توجهاته، والذين لا يلتزمون بصورة عملية بولاية الفقيه - حكم الولي الفقيه⁽²⁶⁾. جاء ذلك التصريح بعد أن عبر علي خامنئي، قائد إيران، عن قلقه من أن ما يقارب المليونين - من مجمل عدد طلاب التعليم العالي في إيران البالغ 3.5 مليون - يختصون في العلوم الاجتماعية. تحدث خامنئي، بذلك الصدد، قائلاً: "يستند معظم تلك العلوم الاجتماعية والإنسانيات إلى فلسفات تستمد جذورها من المادية، وإن قمنا بتدريس نسخة مما قاله الغرييون وكتبوه لشبابنا، فسننقل لهم الشك وعدم الإيمان بالمبادئ الإسلامية التي تتضمنها قيمنا"⁽²⁷⁾.

أدت الانتخابات الرئاسية المبكرة في العام 2009، والاحتجاجات الواسعة التي قامت على إثرها - بمشاركة طلاب الجامعة باعتبارهم الأعضاء الأكثر فاعلية في الجماعات المعارضة - أدت إلى التعجيل بإطلاق المرحلة الثانية للثورة الثقافية. هددت إدارة أحمددي نجاد حتى بهدم بعض من الجامعات: "إن وجدت جامعة أو كلية يستهان فيها بالمتدينين، وثقافة الانتظار (للإمام الغائب)، وثقافة الباسيج، جامعة لا يسمع فيها صوت الأذان

Saman Rasoolpoor, To Export Cultural Revolution abroad, Nov. 14, 2007: roozonline.com/archives/2007/11/post_4767.php (24)

norooznews.ir/news/4303.php (25)

(تمت زيارته في 24 نوفمبر، 2007).

fararu.com/vdchmvnk.23n-xdfft2.html (26)

(تمت زيارته في 26 أبريل، 2010).

wilayat.org/langs/fa/index.php?p=contentShow&id=5814 (27)

(30 أغسطس، 2009، تمت زيارته في 26 أبريل، 2010).

لمقاطعته الفصول الدراسية، جامعة لا يمكن لرجل الدين أن يدخلها، جامعة بلا مسجد أو قاعة للصلاة...، جامعة لا تقام الاحتفالات الدينية في حرمتها، ويحتفل فيها عوضاً عن ذلك "بشاهار شانبيه سوري" (عيد النار الإيراني، الذي يحتفل به في آخر ليلة ثلاثاء من العام)،...، جامعة يقال بأن الطلاب يمرحون فيها، ويستمعون إلى الموسيقى في رحلاتهم الحقلية، أقول بكلمة واحدة أن هذه الجامعة لا يجب أن تكون موجودة بالأساس. إن وجدت مثل هذه الجامعة، فإن شعب إيران، الطلاب، أعضاء الهيئة التدريسية، والموظفين سيسوونها بالأرض"⁽²⁸⁾.

تم، أثناء الانتخابات الرئاسية في العام 2009 وبعدها، اعتقال الآلاف من الطلاب الجامعيين الإيرانيين أثناء الاحتجاجات في الشوارع، وحكم على بعضهم بالسجن مددا تصل إلى 15 عاماً. تم طرد آخرين بصورة نهائية من التعليم العالي، وفصل العديد من الدراسة بصورة مؤقتة وأرغموا على التعهد بترك النشاط السياسي.

يتعين على أعضاء الهيئة التدريسية، استناداً إلى رؤية الثورة الثقافية الأولى، أن يبداوا الولاء للجمهورية الإسلامية ودستورها. تطالب ثورة أحمدى نجاد الثقافية أعضاء الهيئة التدريسية بإبداء الولاء بصورة فعلية للولي الفقيه (خامنئي) وإدارته. لا يستحق غير الموالين بصورة فعلية من الأساتذة أن يدرسوا في الجامعات. أصبح الولاء الفعلي يمثل، بصورة رسمية، أحد المؤهلات المطلوبة⁽²⁹⁾.

(28) كامران دانسجو، وزير التعليم العالي،
Tabnak news site, Aug. 29th , 2010: tabnak.ir/fa/pages/?cid=117172

(29) كامران دانسجو، وزير التعليم العالي،

gootanews: news.gooya.com/politics/archives/2010099920/02/.php

(تمت زيارته في 3 فبراير، 2010).

(30) iranvnc.com/txt/fa/article/16926/; shahabnews.com/vdcexw8z.jh87oi9bbj.html

(تمت زيارته 31 ديسمبر، 2008).

تمثلت خطوة أخرى لتقييد الأساتذة الجامعيين الإيرانيين في الحد من الاتصالات بين المواطنين الأمريكيين والإيرانيين ونخبهم الفكرية وأعضاء هيئاتهم التدريسية. أصدرت وزارة الشؤون الخارجية الإيرانية قرارا يقضي بتوليها المسؤولية عن التنسيق والتبادل بين الأساتذة الجامعيين الإيرانيين والأمريكيين عبر لجنة جديدة سُميت "لجنة الزيارات الشعبية المتبادلة مع أمريكا". تمثل عمل اللجنة في مراقبة الرحلات المتبادلة بين مواطني البلدين فيما يتعلق بالمجالات العامة أو الأكاديمية، علاوة على الرياضية، التعليمية، الثقافية، العلمية، والتي تنظم من قبل المنظمات الخيرية وغير الحكومية⁽³⁰⁾. يتعين على الإيرانيين، قبل سفرهم إلى الولايات المتحدة، أن يعلموا تلك اللجنة، ويحظوا بموافقتها. طالبت الوزارة أيضا الوزارات الحكومية الأخرى -علاوة على المنظمات، والشركات الخاصة- "بتقديم تقارير عن الرحلات واللقاءات المماثلة لتلك اللجنة". يطالب الأساتذة الجامعيون، وفقا لقرار آخر لوزارة العلوم والتعليم العالي، بإبلاغ لجان الانضباط في جامعاتهم عن أي رحلات إلى الخارج، علاوة على الرحلات المتعلقة بالمشاريع البحثية أو الأكاديمية التي تتم على نفقة الجامعة⁽³¹⁾.

استندت الثورة الثقافية الأولى إلى توليفة من الشريعة والأيدولوجيات الإسلامية الموجهة من قبل الهوية، وتمثل رجالها في طلاب الجامعة الإسلاميين، بينما استندت الثانية إلى خليط من الأيدولوجيات الإسلامية العسكرية/الشمولية، السلطوية الفاشستية من قبل رجال الدين، وتمثل رجالها في أعضاء الميليشيات الذين مُنحوا صفة الطلاب استنادا إلى ولائهم للنظام وقائده. خضعت الثورة الأولى لتأثير حركة اجتماعية وسياسية هائلة، وصراع على السلطة بين مجموعات ثورية متنافسة؛ بينما فرضت الثانية من قبل رجال الدين الحاكمين، الذين لا يرغبون في أي معارضة أو مقاومة من قبل المجتمع الأكاديمي الإيراني؛ مثلت الأولى بصورة جزئية ثورة من القاعدة، بينما جسدت الثانية عملية سياسية متدرجة من القمة إلى الأسفل.

(31) roozonline.com/archives/200812/post_10849.php

(تمت زيارته 31 ديسمبر، 2008).

تمثلت إحدى آليات السيطرة على حرم الجامعات، أثناء الثورة الثقافية الأولى، في إجراء مقابلة القبول للطلاب بعد إجراء تحقيق شامل حول ولائهم السياسي. كان عناصر الحكومة يتوجهون إلى الأحياء التي يسكن فيها الطلاب لمعرفة ما إذا كانوا -وأفراد عائلاتهم- يبدون أي نوع من الولاء للمجموعات المعارضة، ويترددون إلى المساجد المجاورة قبل الثورة وبعدها. لم يكن الطلاب الجدد يُقبلون إلا حين يُثبت "التحقيق المحلي" أنهم موالون للإسلام والنظام الإسلامي. عمد عناصر الأمن أثناء الثورة الثقافية الثانية، عوضاً عن إجراء التحقيقات المحلية من قبل موظفي وزارة التعليم العالي، إلى اختطاف الطلاب الناشطين لإخافة الآخرين.

تم قبول الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية الذين دافعوا عن النظام وتطوعوا للقتال في الحرب ضد العراق عبر نظام للمحاصصة، بينما تم التخلص بوضوح من نظرائهم غير الموالين. تمثلت الغاية الرئيسة لسياسة المحاصصة هذه في توظيف القبول، الذي يمنح للمتقدمين المخلصين للنظام الإسلامي، في تكوين قاعدة اجتماعية آمنة للدولة ضمن الجسم الطلابي الذي لا يمكن التكهن بسلوكه.

تغيرت المناخات الثقافية والسياسية في حرم الجامعات، أثناء ولاية خاتمي، ولكن الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية لم يتمتعوا بشيء من الحرية الأكاديمية على وجه التقريب؛ كان غياب الاستقلالية ملحوظاً فيما يتعلق بالجامعات. بذلت إدارة خاتمي المحاولات لدمقرطة اختيار رؤساء، عمداء، وأساتذة الجامعات، لتفشل تلك المحاولات.

2. الخلفية النظرية

إن كان الخميني القائد الروحي للثورة الثقافية الأولى، فإن مصباح يزدي هو الأب الفكري للثانية. مثل مصباح يزدي، في الثورة الأولى رجل دين صريح في معارضته للعلوم الاجتماعية والإنسانيات التي تدرس في الجامعات الإيرانية. آمن الرجل بأن تلك المعارف مستمدة من الحضارة الغربية مما يجعلها فاسدة، ملوثة، ومعادية للإسلام؛ "تبين، بعد

32 عاما، أن المواد التي تدرس في جامعاتنا تعادي الإسلام رسمياً⁽³²⁾. عملت مؤسسته في قم، "مؤسسه در راه حق"، في ثمانينيات القرن المنصرم، على تشكيل بعض المجموعات لإعادة كتابة الكتب الجامعية المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانيات، وإصدار سلسلة من نسخ مؤسسته عن تلك الكتب كالاقتصاد الإسلامي، علم الاجتماع الإسلامي، وعلم النفس الإسلامي.

حظي محمد تقي مصباح يزدي -الذي يعد المرشد الروحي للإسلاميين العسكريين في إيران، والذي وفر الدوافع والفتاوى الضرورية لتعيين من يحارب ضد الدولة (محارب) إبان جرائم القتل المتسلسلة لمفكري وكتاب المعارضة في العام 1998 - حظي بسلطة أكبر فيما يتعلق بصنع السياسة الثقافية أثناء ولاية أحمدني نجاد. يبرز اسم يزدي الآن، باعتباره عضواً في "المجلس الأعلى للثورة الثقافية"، في سياق أسلمة الجامعات الإيرانية، وتطهيرها من الإصلاحيين الدينيين والعلمانيين.

يحث يزدي -باعتباره رجل الدين الوحيد الذي قبل قدمي خامنئي، ناهيك عن تلقيه عشرات الملايين من الدولارات سنوياً- على استخدام العنف ضد أي معارض، وبخاصة الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات. يؤمن الرجل بأن أي شخص يعارض الدولة الإسلامية يعمل لحساب أجهزة الاستخبارات الغربية، ويجب أن تتم إزالته من المجتمع.

يطالب مصباح يزدي، الذي يرأس الآن "مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث" في قم، بتسريع الجهود المبذولة في سياق مشروع الأسلمة، ويدعو إدارة أحمدني نجاد كذلك إلى الإسراع في جهودها لأسلمة الجامعات. يؤمن يزدي بأن جيل المستقبل مهدد لعدم هيمنة أخلاق المجتمع التقليدية والقيم الإسلامية على تعليمه. يتأثر تعليم الجيل الجديد، وفقاً ليزدي، بالثقافة الغربية، التلفزيون، وفضول الدراسة الجامعية، التي لا يتعلم فيها شيئاً سوى كيفية ضرب النظام، والإسلام أحياناً⁽³³⁾.

(32) mesbahyazdi.org/farsi/?..farsi/speeches/lectures/lectures45/matn.htm

(33) mesbahyazdi.org/farsi/?..farsi/speeches/lectures/lectures45/matn.htm

قرر مصباح يزدي والإسلاميون الآخرون -استنادا إلى فشلهم، طيلة الثلاثين سنة الماضية، في فرض آرائهم على النظام التعليمي الإيراني، وأسلمته بالكامل وفقا لمعتقداتهم- قرروا لاحقا، أثناء ثورتهم الثقافية الحالية، إيلاء هذه المهمة الهامة إلى الأجهزة القضائية، الاستخبارية، والعسكرية.

3. الخلفية الاجتماعية والسياسية

شكلت الجامعات والكليات على الدوام -بالرغم من إنشاء مؤسسات التعليم العالي الإيرانية، في الغالب، من قبل الدولة، ناهيك عن تمويلها، وإدارتها، والسيطرة عليها- شكلت مركزا رئيسا لمعارضة الحكومات والثورة عليها. مثل طلاب الجامعة الإيرانيون القوة الرئيسية التي تحددت النظام قبل ثورة العام 1979 وبعدها. أوجدَ النضال الطلابي الإيراني المتواصل، لأكثر من نصف قرن، لتحقيق الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، والحرية، تقاليد من عدم الرضوخ للوضع السياسي الراهن.

تمثلت الذرائع السياسية للثورة الثقافية الأولى في التالي:

- احتلال السفارة الأمريكية في طهران من قبل الطلاب الإسلاميين.
- انقلاب "نوجيه" الفاشل على الحكومة الإسلامية.
- وجود الجامعات كمراكز رئيسة للمعارضة لأكثر من نصف قرن.
- إنشاء، تمويل، وإدارة الجامعات الإيرانية من قبل الدولة، بالرغم من ظهور مؤسسات تعليمية خاصة، مسيطر عليها من قبل الدولة، في السنوات الأخيرة.
- سيطرة الطلاب على فصول الدراسة، أرض الحرم الجامعي، وسياساته.

تمثلت الذرائع السياسية والاجتماعية للثورة الثقافية الثانية في التالي:

- دور الجامعات الإيرانية كأولى المؤسسات التي دعمت خاتمي والإصلاحيين الآخرين الطامحين إلى تولي السلطة.
- دور الطلاب الإيرانيين باعتبارهم يمثلون المجموعة المنظمة الوحيدة التي لا تتلقى تمويلا من الحكومة؛ مما يجعلها صريحة في انتقاد رجال الدين الحاكمين.
- تمتع أساتذة الجامعة بأعلى درجات الثقة من قبل الشعب الإيراني.
- دور الجامعات كمراكز رئيسة للمعارضة.
- تقديم انتخابات العام 2005 الرئاسية (الظالمة والمفبركة بوضوح) باعتبارها زلزالا وثورة من قبل المعسكر السلطوي.
- الحكم الضعيف: أزمات الشرعية، المشاركة، والشعبية (لم تكن أكثر من نسبة 10 - 15 بالمئة من الشعب مؤيدة للحكومة).

يرى النظام السلطوي في الجامعات حاضنات للمعارضة السياسة التي عمت البلاد منذ إعادة انتخاب أحمدني نجاد المثيرة للجدل.

4. الثورة الثقافية : النموذج الإيراني

يتمثل تعريف الثورة الثقافية، كما يستخدم من قبل الحكومة الإيرانية، في التالي: حملة لتخليص الجامعات من عناصرها الليبرالية/ الماركسية/ الإسلامو- اشتراكية؛ طريقة لاستعادة السيطرة على المجتمع الأكاديمي، وتطهيره من التأثيرات الغربية وغير الإسلامية؛ وصراع على السلطة بين الأجنحة الثورية والمتنافسة. تمثل الجامعة، وفق ذلك التعريف، الجبهة الأمامية للصراع بين النظام الإسلامي وعدوه الرئيس، الغرب.

يفترض بالثورات الثقافية، من وجهة نظر القادة الإيرانيين، أن تفكك الثقافات القديمة (شعبية كانت أم نخبوية) وتبني ثقافة جديدة على أنقاضها. تعد تلك العملية، المدعوة "الأسلمة"، أكثر العمليات -التي تواصل من قبل رجال الدين الحاكمين- حساسية في العقود الثلاثة الأخيرة. اقتصرت الأنماط الثقافية الجديدة في الغالب، مع ذلك، على المواليين للحكومة، بينما اتخذت الأنماط الأخرى شكل المعارضة. اندرج إغلاق الجامعات والكليات في سياق التخلص من خصوم الخميني، الذين كانوا يتمثلون بصورة جزئية في المفكرين والمنتقنين.

سيطر طلاب الجامعة، بعد الثورة بصورة مباشرة، على فصول الدراسة، أرض الحرم الجامعي، وسياساته. أنشأ الطلاب، الموظفون، والأساتذة، بعد الثورة بوقت قصير، مجالس ديموقراطية لإدارة جامعاتهم. حصل الطلاب الإسلامويون على الغالبية في بعض من تلك المجالس، ولم يحصلوا عليها في مجالس أخرى.

لا يجدر بالجامعة الإسلامية المثالية، وفق الخطط الموضوعة بشأنها أثناء الثورة الثقافية الإسلامية الأولى، أن تهدف إلى الاستقلال عن الدولة، بل أن تخضع بصورة أكبر لسيطرة رجال الدين الحاكمين. يجدر بالنظام التعليمي على حد سواء، استنادا إلى ما تهدف اليوقراطية الإسلامية إليه من وحدة بين الدين والدولة، أن يجمع بين الأحكام والمعتقدات الدينية، والمناهج الدراسية.

يفترض بالثورة الثقافية الإسلامية أن تؤدي إلى أربع ظاهرات في المجتمع الأكاديمي:

- (1) الصمت السياسي لحرم الجامعات. عدم السماح بحرية التعبير والتجمع إلا لمن يوالون الحكومة الإسلامية. عدم السماح لمن لا يرتبط بالحكومة من الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية بتشكيل أي من المنظمات، أو تأسيس المنتديات المفتوحة، أو تعليق أي كتابات في أي مكان، أو التدخل في المسائل الإدارية. عدم السماح لغير رابطات الطلاب الإسلاميين بالعمل (تم تغيير ذلك لاحقا ليقصر على "الباسيجيين" وأفراد القوات شبه العسكرية الإيرانية)؛
- (2) الفصل بين الجنسين في مقاهي الجامعة، مكتباتها، فصولها الدراسية، مختبراتها، بل

وحتى ممراتها؛ (3) عدم السماح بالاستقلالية الأكاديمية فيما يتعلق بتعيين أعضاء الهيئة التدريسية، وضع المناهج الدراسية، وانتقاء الكتب الجامعية؛ (4) تركيز السلطة، فيما يتعلق بالتعليم العالي، في أيدي الحكومة.

مثلت ثورة خامنئي الثقافية ردا على الخمينية والحركات الإصلاحية. حاول الخامنئي، في العقد الأول لحكمه، نزع الطابع الخميني عن الجامعات التي كانت إداراتها موالية للخميني، ولم تكن ترغب في النظر إلى الخامنئي باعتباره قائداً كاريزماتياً. حاول الرجل، في العقد الثاني من حكمه، حين أوجدت الحركة الإصلاحية معقلاً قويا لها في الجامعات، أن يقمع الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية المعارضين تحت مظلة الثورة الثقافية، وسعى جاهداً لكي تصبح الجامعات والكليات غير مسيسة في أنحاء البلاد كافة.

تجسدت سياسة أخرى لإدارة أحمددي نجاد، لأسلمة الجامعات والكليات، في دفن شهداء الحرب العراقية- الإيرانية (الذين قتلوا منذ أكثر من عشرين عاماً، بين العامين 1980 و1988) في حرم الجامعات. يهدف ذلك إلى تغيير مناخ الجامعات، لتتحول من قطاع مهم في المجال العام إلى مقابر وأماكن للعبادة. تم دفن المئات من تلك الجثامين في جامعات رئيسية، عبر أنحاء البلاد كافة، من العام 2005 إلى العام 2010⁽³⁴⁾.

يتمثل ما هو إيراني، بشأن تلك الثورات الثقافية، في التأكيد على الأسلمة. يفهم رجال الدين الشيعة الإيرانيون وأتباعهم الأسلمة باعتبارها معادية للفكر، ويؤمنون بأنها تمنحهم الحق

(34) بعض الأمثلة عن ذلك: تم دفن ثلاثة جثامين في جامعة «تربية مدرس» في أكتوبر 2008، (emruz.net/ShowItem.aspx?ID=18240&p=1)

(تمت زيارته في 21 أكتوبر، 2008).

تم دفن ثمانية جثامين أخرى في عدد من جامعات محافظة همدان، (kayhannews.ir/8708013/HTM#other306)

(تمت زيارته في 21 أكتوبر، 2008).

تم دفن خمسة جثامين في حرم جامعة طهران، (zamaaneh.com/news/200811/post_6975.html; tabnak.ir/pages/?cid=31381).

في احتكار الحقيقة والفضيلة، ويرون فيها عملية لمحاربة العلمنة تحت رعاية الدولة. سيتم احتكار الحقيقة والفضيلة عبر تطبيق قوانين الشريعة، بما يمثل غطاء لاحتكار السلطة في الحقيقة.

رغب رجال الدين الإيرانيون، بتشجيع من ثورة العام 1979 وتأييد الجماهير، في تفكيك كل ما تم إنجازه أثناء حكم البهلويين، وبخاصة الإنجاز المتجسد في العلمنة. لم يرغبوا في تفكيك دولة- الأمة والمؤسسات الحديثة، بل في تدجينها بالأحرى. مثلت العلمنة، مع ذلك، شيئاً لا يحتمل بالنسبة لهم. لم يكن يسمح لشيء بأن يخرج عن سيطرة حكمهم الديني.

تشكل تركيبة "مجلس الثورة الثقافية"، في مراحل مختلفة، إشارة واضحة إلى معاداة الفكر في كلتا الثورتين الثقافيتين الإيرانيتين⁽³⁵⁾. يعد ذلك المجلس الهيئة الأعلى لصنع السياسات والقرارات فيما يتصل بالأنشطة الثقافية، التعليمية، والبحثية ضمن إطار السياسات العامة للنظام. لا ينص الدستور على تشكيل المجلس، ولكنه جاء نتيجة للظروف الخاصة التي كانت سائدة في المراحل الأولى للجمهورية الإسلامية. يتمثل عمل تلك المجموعة -المؤلفة من سبعة أعضاء (بين العامين 1980 - 1983)، وسبعة عشر عضواً فيما بعد (في العام 1984)، التي تم توسيعها لتشمل ستة وثلاثين عضواً في العام 1999 - يتمثل في وضع القوانين والسياسات لأسلمة الثقافة في المجتمع الإيراني.

أكد أنصار "العلمنة"، لقرن من الزمن تقريبا، على أنه لا يجب أن يكون للدين تأثير مباشر في التشريع، صنع السياسة، صنع القرار، وغير ذلك من شؤون الدولة. حاولت حكومة إيران الإسلامية تفكيك كل مؤسسة -والقضاء على كل نزعة- تستند إلى الفصل بين الدين والدولة. مثل المجتمع الأكاديمي نقطة البداية بالنسبة لها. لم تنته هذه العملية نتيجة للمقاومة التي يبديها أساتذة وطلاب الجامعة.

(35) لمعلومات حول أعضاء المجلس الحاليين، اطلع على الصفحة التالية:

iranculture.org/en/about/members.php

مر المجتمع الأكاديمي الإيراني بتحول نموذجي كبير أثناء هاتين الثورتين الثقافيتين. شكلت الجامعات، بين العامين 1977 - 1980، مكانا للتعايش بين الإسلامويين، الماركسيين، والقومجيين. بدأ الصراع يتكشف بين الإسلامويين حين عمدوا إلى طرد الماركسيين وإسكات القومجيين. بدأت الأيديولوجيات الإسلامية المتنافسة في إطلاق حملاتها الخاصة لاحتكار الحقيقة باسم الإسلام الصحيح.

حاول الإسلامويون احتكار الحقيقة، في المجتمع الأكبر، عبر إنشاء "قسم الحقيقة" في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. بدأ الإسلامويون، في ثمانينيات القرن المنصرم، في عكس اتجاه المجتمع عبر عملية الأسلمة. عادت الوظائف التي كانت تؤدي في السابق من قبل المؤسسة الدينية - وتمت علمنتها فيما بعد أثناء حكم البهلويين - عادت مرة أخرى إلى أيدي رجال الدين.

ازداد التسامح - أثناء التسعينيات من القرن المنصرم، وبخاصة بين العامين 1995 و1998 - مع أنماط مختلفة من الإسلاموية. أدى التحرر من الوهم في التسعينيات إلى نشوء حركة الإصلاح الهادفة إلى الديمقراطية، وهُمشت الإسلاموية اجتماعيا في تلك الفترة. استبعد الإسلامويون السابقون من الحكومة، حين تم قمع الحركة الإصلاحية من قبل رجال الدين الحاكمين. أدى ذلك الاستبعاد إلى تشكيل إدارة عسكريتارية/ فاشستية بين العامين 2005 و2010: بدأت الإدارة التي زعمت امتلاكها القداسة وتلقيها إشارات من الله، في تلك الفترة، في الحد بصورة إضافية من علمنة المجتمع الأكاديمي والثقافة. افترض بالحد من علمنة المجتمع الأكاديمي والثقافة أن يحد من علمنة المجتمع، ويؤدي إلى السيطرة على الدين والمجتمع بالمجمل. تم نبذ التعددية، في تلك الحالة، التي كان يعتقد بإسهامها في النسبية، وإيجادها أزمات في المعتقد.

لم تمثل الثورتان الثقافيتان الإيرانيتان، باعتبارهما مناقضتين لأجندات الثورة الثقافية الصينية المزعومة، إعادة تثقيف جماعية للجماهير، مضطهدة كانت أم غير ثورية، ولا إستراتيجية لكسر عادات الخضوع والإذعان التي تم تذويتها (جعلها جزءا من الذات)

لقرون من الزمن⁽³⁶⁾. لم تجسد الثورتان الثقافيتان في إيران تجربة جماعية بالمطلق. انظر إلى الجدول 1 لمقارنة الجوانب الأخرى للثورات الثقافية الإيرانية والصينية.

كان الجانب الديني غائبا تماما في الحالة الصينية. تم النظر إلى الثورة الثقافية في إيران باعتبارها تمثل إعادة تنظيم للجامعات العلمانية، وإعادة صياغة للأيديولوجيات الإسلامية في وقت لاحق، حين كانت الإسلامية في أزمة؛ استخدم المسلمون الإيرانيون الثورة الثقافية لإظهار تاريخ العالم بكليته كصراع دائم بين الفضيلة والرذيلة، ورأوا في مؤسسات التعليم العالي نقطة للبداية في ذلك الصراع. جسدت الثورتان الثقافيتان - اللتان رأى فيهما الكثير من الطلاب والأساتذة الإيرانيين شكلا كبيرا من المعاناة - نقطتي تحول لصراعات السلطة السياسية بالنسبة للإسلاميين.

الثورة الثقافية الصينية	الثورة الثقافية الإيرانية	
نقصان	ازدياد	طول مدة التعليم
الأصول التطبيقية (مرجعية الأقران في العمل)	الأيديولوجيا (مرجعية رجال الدين)	معايير القبول
الالتزام بالأيديولوجيا الحمراء مقابل الخبرة	الالتزام بالأيديولوجيا الإسلامية مقابل الخبرة والتجربة	التحدي الأهم
اللامركزية	المركزية	العملية الإدارية

(36) انظر المراجع:

(Jameson, 1988: 188).

5. المجتمع الأكاديمي ساحة للصراع

ركز رجال الدين الحاكمون في إيران على التعليم العالي، بينما عبروا عن نيتهم في إطلاق ثورة ثقافية متكاملة. تمثل الجامعات الآن ساحة للصراع بين الإسلاميين والقوى الاجتماعية التي لا ترغب في النظام الإسلامي، بينما كانت تمثل، قبل الثورة الإيرانية في العام 1979، ساحة للصراع بين الماركسيين والإسلاميين. يتجسد السؤال الرئيس في ماهية السبب الذي جعل من الجامعات الإيرانية ساحة للصراع بين القوى السياسية لما يقارب ستة عقود من الزمن.

تحظى القوى السياسية الإيرانية ببيئاتها الخاصة ضمن المجال العام. تمثل الجامعات المكان الذي ترغب كل المجموعات في السيطرة عليه، وبخاصة تلك التي لا تملك منبراً آخر غير الحرم الجامعي. يسيطر رجال الدين الحاكمون على الإعلام، المؤسسات الدينية، والمدارس العامة، ولكنهم لا يكتفون بذلك. يريد أولئك الهيمنة ثقافياً وسياسياً على الجامعات الإيرانية. لم يكن ذلك ممكناً إلا عبر اللجوء إلى القوى الأمنية وشبه العسكرية.

أدت تلك الصراعات إلى كوارث أكاديمية في الجامعات الإيرانية. انخفض مستوى الاستقلالية في الجامعات بصورة متواصلة، باستثناء السنتين الأوليين من رئاسة خاتمي؛ لا يملك أعضاء الهيئة التدريسية الإيرانيون أي سيطرة على المناهج الدراسية؛ تراقب المنظمات، الأنشطة، والصحف الطلابية من قبل ممثلي القائد ولجان الانضباط؛ وتخضع الجمعيات العلمية لضغوط قوى الأمن. تتم مراجعة غايات النظام الإسلامي فيما يتعلق بالجامعات باستمرار، ولا يُقيّم نجاح وإخفاق التعليم العالي إلا استناداً إلى تلك الغايات.

6. المواصفات

يتمثل الهدف المشترك لكل من الثورة الثقافية الأولى والثانية في إيران في أسلمة جوانب التعليم كافة بدءاً من علاقة الأستاذ- الطالب مروراً بالكتب الدراسية، المناهج، الإدارة، الحياة الطلابية، علاقة الطالب- الطالب، الجسم الطلابي، السياسات الطلابية، انتهاءً بالهيئة التدريسية تحت راية محاربة الإمبريالية الثقافية. تهدف الأسلمة إلى ضمان ولاء مؤسسات التعليم العالي للحاكم، الدولة الإسلامية، وأجنداتها الأيديولوجية والسياسية.

تتجسد أسلمة الإدارة في تخصيص المواقع البارزة في المجال الأكاديمي لرجال الدين والأفراد الموالين لهم، وإن كانوا غير مؤهلين، ولا يتمتعون بالمواصفات أو الخبرات الأكاديمية المطلوبة. عمدت الحكومة، بغية أسلمة الحياة الطلابية، إلى بناء مسجد ومصليات في كل حرم جامعي، ناهيك عن احتفال الجامعات والكليات بالمناسبات الإسلامية التي يتضمنها التقويم كافة. يتعين على الطلاب أن يلتزموا بالأحكام الإسلامية كافة، وأن يتبعوا رجال الدين في جميع جوانب حياتهم. تتم مكافأة من يمثلون ويعاقب من لا يفعلون.

يتعين، بغية أسلمة الهيئة التدريسية، أن يتم تحويل أعضائها إلى الأناس المثاليين الموصوفين من قبل الأيديولوجيا، وسيتم، إن تعذر ذلك، طردهم من الجامعة وتطهيرها منهم عبر وسمهم بمعاداة الإسلام، تأييد الثورة المضادة، العلمانية، وتبني التوجهات الغربية. لا يتم تعيين أعضاء الهيئة التدريسية استناداً إلى قدراتهم الأكاديمية/ العلمية أو سلوكهم الأخلاقي، بل معتقداتهم ومواقفهم السياسية والأيديولوجية. لا توجد أي حرية أكاديمية في سياق الأسلمة.

تتمثل أسلمة الكتب الدراسية والمناهج في إعادة كتابتها وصياغتها لتضمن ما أمكن من المواد المستمدة من النصوص الإسلامية في الكتب والبرامج التعليمية، وحذف كل ما لا يتوافق مع تعاليم الملالي، بينما تتجسد أسلمة الجسم الطلابي في فحص الطلاب كافة من

قبل اللجان، وتعليق دراسة من لا تثبت ملاءمتهم، ناهيك عن عدم السماح لهم بالتسجيل أو إكمال دراساتهم.

تتمحور أسلمة السياسات الطلابية حول حظر أي منظمة طلابية لا ترتبط بالحكومة، ومنع الطلاب من كتابة الشعارات، تعليق أي كتابات في أي مكان، وإجراء النقاشات المفتوحة. يتعين على الطلاب، قبل القيام بتلك الأنشطة، أن يتلقوا الموافقة من سلطات الجامعة.

يجدر بالمرء، لفهم ومقارنة الثورتين الثقافيتين الإيرانيتين، أن يركز على الأيديولوجيا الكامنة وراء هاتين الظاهرتين، التطورات التي أدت إلى قيامهما كردتي فعل، أهدافهما المعلنة والمتابعة، أنماطهما، مهامهما، اهتماماتهما وأجنداتهما، العناصر الموظفة لإدارة فعليهما، والمجموعات والهيئات المنخرطة فيهما. يتم تلخيص مواصفات هاتين الثورتين الثقافيتين في الجدول 2.

الجدول 2 مواصفات الثورتين الثقافيتين الإيرانيتين: 1981 - 1983 و 2005 - 2010:

الثورة الثقافية الثانية	الثورة الثقافية الأولى	
إسلاموية عسكرية/ فاشستية	سلطوية رجال الدين / موجهة من قبل الشريعة / موجهة من قبل الهوية / إسلاموية موجهة من قبل الصوفية	الأيديولوجيا
السيطرة على الحكومة / الثقافة / نمط الحياة	السيطرة على الحكومة / الثقافة / نمط الحياة	مقاربة الدولة
العلمنة المتزايدة للمجتمع والثقافة في إيران	التسييس المتزايد للجامعات	رد فعل على
إيجاد بيئات للطاعة بغية تطهير المجتمع الإيراني من الأفكار العلمانية	تشبيد "معامل لبناء الإنسان" بغية تطهير الجامعات والنظام التعليمي من التأثيرات الأجنبية	الأهداف المعلنة

الأهداف المتابعة	تطهير الجامعات من المنافقين	كنس الخصوم من الجامعات
المهمة المنجزة	تعزيز حكم رجال الدين	تعزيز الحكم العسكري (إضافة المكانة الاجتماعية إلى السلطة والمال)
النمط	الماوي الصيني / أسفل - أعلى	الطالباني الأفغاني / أعلى - أسفل
الأجندات الرئيسية	إكساب الطابع المحلي للعلوم، التعاون بين الحوزات والجامعات، الاستقلال الثقافي	الفصل بين الجنسين، حظر المعارضة السياسية
المجال	الجامعات بصورة رئيسة	الجامعات بصورة رئيسة
الاهتمامات	التطور العلمي، المبادئ الأخلاقية	إعلاء الفضيلة ومحاربة الرذيلة
المجموعات المستهدفة بالأضطهاد والطرده	المجموعات اليسارية الماركسية المعارضة / أعضاء الهيئة التدريسية العلمانيون الليبراليون	المنظمات الطلابية الإسلامية / أعضاء الهيئة التدريسية الإصلاحيون الناشطون
العناصر	المنظمات الطلابية الإسلامية	الطلاب الباسيجيون / مكاتب ممثلي القائد / الفرع التنفيذي
الهيئات المؤسسة / التي تمت تقويتها	مكتب التعاون بين الجامعات والحوزات، المجلس الأعلى للثورة الثقافية (7، 1982 / 17، 1984 / 26، 2007)، مكاتب ممثلي القائد في الجامعات كافة	الطلاب الباسيجيون

7. النتائج

لم تدفع الثورتان الثقافتان قدما بالثقافة، التعليم، والمجتمع الأكاديمي في إيران، بل أعادت ببساطة عقارب الساعة إلى الوراء، إلى ما قبل مرحلة البهلويين، وحدًا من علمنة المؤسسات الثقافية والتعليمية. تمت متابعة ذلك تحت ظل الشعاع البراق المتمثل في العودة إلى صدر الإسلام، فترة الحكم الإسلامي الصرف كما يتم تخيلها، التي لم تتكرر في التاريخ الإسلامي على الإطلاق. صُدم الطلاب والأساتذة الإيرانيون جراء الحد الذي بلغه استخدام العنف والقسوة لترويج تلك الأجندة. مثلت الحرية الأكاديمية الضحية الأبرز لتلك الأعمال الوحشية.

أسهمت هاتان الثورتان القمعيّتان المتدرجتان في تعزيز الهيمنة المطلقة لرجال الدين، الذين فرضوا "الكليروقرراطية" (حكم رجال الدين) على المجتمع الأكاديمي -بغية استخدامه أداة في فرض "الكليروقرراطية" على المجال العام برمته- لتنتهك استقلالية ذلك المجتمع في إيران إلى أبعد الحدود. لا تشترك الجامعات الإيرانية إلا بالاسم مع الجامعات الأخرى عبر العالم؛ تفتقر تلك الجامعات إلى السمات الأساسية للمؤسسات التعليمية.

ترتبت العديد من النتائج المدمرة عما دعى بالثورتين الثقافيتين. تتمثل إحداها في اليأس والاكنتاب اللذين يؤديان في العادة إلى الإدمان على المواد المخدرة والانتحار. ارتفعت نسبة الإدمان على المواد المخدرة، وفقا لعدد من الدراسات، في حرم الجامعات الإيرانية⁽³⁷⁾. سئل 213 من طلاب جامعة شيراز، عبر تحقيق ذاتي، عن مواقفهم فيما يتعلق بتعاطي المواد المخدرة (السجائر، الكحول، الأفيون، الهيروين، الحشيشة) في الوقت الراهن، وعن تلك المواقف (قبل، أو أثناء، ستة الأشهر السابقة لهذه الدراسة)، ليتبين أن ما يقارب 52 % منهم قد دخنوا السجائر، 25 % شربوا الكحول على سبيل التجربة، 21 % تعاطوا الأفيون،

(37) انظر المراجع:

(Ahmadi et al, 2001; Ahmadi & Yazdanfar, 2002).

و12% الحشيشة، بينما تعاطى طالب واحد، لا أكثر، الهيروين⁽³⁸⁾. يتجاوز تعاطي المخدرات في مهاجع الجامعات المعدل الوسطي لتعاطيها في المجتمع برمته⁽³⁹⁾. تعاطت نسبة 11% المخدرات، من بين عينة مؤلفة من 5231 طالبا في 21 جامعة، وفق مسح أجري لهذه العينة⁽⁴⁰⁾.

تتمثل نتيجة أخرى في ارتفاع معدل الانتحار. جسدت نسبة انتحار طلاب الجامعة واحدة من أعلى النسب بين شرائح اجتماعية مختلفة⁽⁴¹⁾. أقدم أكثر من 200 طالب جامعي على الانتحار، بين العامين 2000 و2008، ليفارق 18 منهم الحياة بالنتيجة. مثلت الإناث، وفقا لتقرير لوزارة التعليم العالي، ثلاثة أرباع الذين أقدموا على الانتحار⁽⁴²⁾. يعود ذلك لتزايد الضغوط الأيديولوجية والاجتماعية على النساء في الجامعات.

تتجسد النتيجة الثالثة في الإضرار بالمعايير التعليمية. تتلقى العشرات من الشركات في إيران طلبات لكتابة أطروحات الماجستير والدكتوراه. يتراوح المبلغ الذي تتلقاه عن كتابة الفصل الواحد بين 400 و500 دولار لأطروحة الماجستير، و600 و700 دولار لأطروحة الدكتوراه⁽⁴³⁾.

(38) موقف طلاب جامعة شيراز إزاء المخدرات: دراسة استطلاعية، A. Ghanizadeh; emro.who.int/Publications/EMHJ/0703/shiraz.htm

Sina news agency, September 25, 2004. (39)

BBC Persian website, June 5, 2008. (40)

(41) إقدام طالب جامعي على الانتحار في همدان:

tabnak.ir/pages/?cid=9432

(تمت زيارته في 21 أبريل، 2008).

roozonline.com/archives/200804/post_7026.php (42)

(تمت زيارته في 22 أبريل، 2008).

tabnak.ir/pages/?cid=9414 (43)

(تمت زيارته في 21 أبريل، 2008).

تتمثل الرابعة في ازدياد هجرة العقول. غادر العديد من أعضاء الهيئات التدريسية الجامعية إيران للهرب من الثورة الثقافية، بين العامين 1980 - 1983، التي أضعفت إيران كثيرا من الناحيتين العلمية والتقنية المطلوبتين للتطوير. سيزيد تطهير المناهج التعليمية من العلوم الاجتماعية، والإنسانيات، والآداب الغربية، واستبدالها بتعاليم إسلامية، سيزيد بصورة إضافية من المسافة بين الحكومة والعديد من طلاب الطبقة المتوسطة، الذين تبهوا سياسيا جراء الانتخابات الرئاسية في العام 2009. ستضعف سياسات الحكومة الجامعات الإيرانية على حد سواء. يهاجر الأكاديميون الإيرانيون المؤهلون طلبا للتوظيف في الخارج. هاجر، كمعدل وسطي، ثلاثة من حملة شهادة الدكتوراه، وخمسة من حملة شهادة الماجستير في كل يوم من العام 2009⁽⁴⁴⁾.

تتجسد النتيجة الخامسة في ازدياد المسافة بين المجتمع الأكاديمي الإيراني والجامعات في العالم المتقدم. توترت علاقة إيران الأكاديمية، منذ قيام الثورة الثقافية، مع الولايات المتحدة والعالم الغربي. لا يمكن للأساتذة والطلاب الإيرانيين التواصل وتبادل أعمالهم بحرية مع زملائهم عبر أنحاء العالم.